رسائل غرام

بين نساءٍ شهيرات ورجال عظام

الرسالة السادسة

من الاميرة اميليا غوستاف الى الامير هنري اولدنزال

(كان الامير رودلف غوستاف ملك احدى المقاطعات الالمانية قد تزوج فى اثناء احدى سياحاته بفرنسا فتاة فرنسوية وضيعة الاصل وكتم زواجه عن الناس ثم هجر زوجته وعاد الى المانيا . وبعد زمن بلغه ان امرأته قد رزقت منه ابنة هى طريدة شريدة فى أزقة باريس . فعاد الى فرنسا وأخذ يبحث عنها الى ان وجدها بعد عناء كبير ورجع بها الى المانيا. وكان كل من يراها يقف حائراً مبهوتاً لجمالها الساحر فلم يمرّ على قدومها بضعة أيام حتى كان جمالها الرائع حديث القوم وموضوع تغزل الشعراء . ولم تكن محاسن آدابها تقل عن محاسن جمالها فقد كانت على جانب عظيم من الشمم وعزة النفس . واتفق انها رأت ابن عمها البرنس هنرى اولدنزال فاحبته وأحبها حباً مبرحاً . ولكن تاريخها الماضى كان فى نظرها لطخة سوداء فلم تشأ ان تصمَ بها حياة ابن عمها . ففضلت الترهب حباً به . وهكذا فعلت على رغم الحاح أهلها وجميع أهل البلاط . وماتت فى دير جيرولستين شبعانة من متاعب الحياة وآلام التذكارات . وقد كتبت الرسالة الآتية الى حبيبها عند أوائل دخولها الى ذلك الدير)

ايها الحبيب

أماي رسالتك الاخيرة ، كلما قرأتها شعرت بشوق اليك وحنين الى مخاطبتك . اراك رازحاً تحت ثقل من اليأس فيزيد بي حزني واتمنى لو اننا لم يرَ بعضنا بعضاً قط ، اذ لولا الحب ما كنتَ حزيناً منكسر القلب .

ولو لم تعرفني ما شُغلتَ بي عن العالم أجمع . فان كان ذنبي اليك انني اذكيت في قلبك جذوة الحب فاني مستعدة أن اطفئ تلك الجذوة وأكفّر عن ذلك الذنب بأن اضع حدًّا لنبضات قلبي المثقل باعباء الهموم والاّ فلماذا انت حزين يا هنري ؟ ولماذا يجعلك حبي شقياً عوضاً عن ان يمتعك بالسعادة والحبور ؟ هل يسوءك انني دخلت الدير وانت تعلم لاجل من دخلتهُ ؟ أليس ذلك أسطع برهان على ان حبي لك صحيح ثابت ليس له بداءة ولا نهاية ؟ فان كنت تحبني كما أحبك فلا تكتب اليّ بلهجة اليائس ، بل كن فرحاً مسروراً لانني أحب ان اراك كذلك ايها الحبيب وينقبض صدري كلما تمثلتك حزيناً مثقلاً بالهموم

دخلت الدير يا هنري لاتي اجد فيهِ راحةً وسلاماً واستطيع ان اخلو بنفسي فاناجيك ولو عن بعد ، واضيف الى عهودي السابقة عهداً جديداً لا تفصم عراه حتى تنطوي صفحة الخلود . فاذا لم يُقدَّر لي أن أراك في هذه الحياة ، فان موعدنا الضفة الأخرى من نهر الأبدية ، حيث نحلّق كلانا في ذلك الفضاء الرحيب متنقلين بين الكواكب ، كما تتنقل الفراشة بين الحقول

لماذا تلومني على دخولي الدير يا هنري ؟ أليس الدير اول محطة على الطريق الى السماء حيث نجتمع كلانا بعد أن نخلع هذا الثوب الهيولي ؟ فلماذا يسوءك هذا الأمر وانت عالم بما ينطوي عليه من راحة وعزاء ؟

هي ايام تنقضي يا هنري. فإما أن يشفيك الزمان من غرام الشباب، او ان يزيدنا الفراق ثباتاً في الحب. وسواء قدّر لنا اللقاء في هذه الحياة ،

او لم يقدّر، فانني مقيمة على عهودي لك لا اميل عنك قيد شعرة ولا انساك طرفة عين

. . . إكفني عذاب الذاكرة يا هنري . ان السرور الذي تجده في تذكرك ايامنا السالفة ينقلب عندي الى آلام مبرّحة ، فاخلو بنفسي وعيناي مغرورقتان بالدموع اذ تمثل لي ايامنا السعيدة ونحن لاهيان عن كل شيء ما سوى الحب

سقياً لمواقف العهد القديم ! ليتني استطيع أن انساها ، لأنني كلما تذكرتها تقوم في نفسي ثورة عواطف تضيع بين الشجن والسرور . فلقد كانت تلك الايام اشبه بحلم هنيء أعقبته يقظة محزنة . لذلك أحاول أن اتناساها فلا استطيع ، لأن رسمك لا يبرح من فكري وصوتك الرخيم يرنّ دائماً في اذنيّ . حقاً انني مدينة لك بايامي السعيدة يا هنري . ولو كنت الآن واقفاً امامي ، لألقيتُ بنفسي بين ذراعيك واسمتك خفوق هذا الفؤاد الذي تنطق كل نبضةٍ من نبضاته بما يكنه لك من الحب الخالد

ربما تحزنك رسالتي هـذه يا هنري . ولكن فؤادي مفعم بهموم تضيع معها الابتسامة التي كنت تعهـدها في شفتيّ . كيفما التفتّ أرى مظاهر الطبيعة تذكرني بك ، لأن حبي لك يمثلك حاضراً في كل مكان وزمان . وهذا دليل آخر على أن حبنا الطاهر يزيد كلما طال بنا الفراق ، ولا تؤثر فيهِ الايام . ولقـد كنت أستكثر على البشر روميو وجولييت ، وأتصور حبهما من أساطير الاولين الى ان أحببتك ، فعلمت ان في العالم

روميو آخر وجولييت أخرى ، وان الحب قد يبلغ من النفس الى درجة يحملها على ارتكاب كل جريمة ، وجرائم المحبين حسنات عند الملائكة !

ان الراهبات هنا يسميني الزنبقة ، لأن كل فتاة تعطى عند دخولها هذا الدير اسماً جديداً للدلالة على انقطاعها عن العالم وابتدائها بحياة جديدة . فهل يعجبك اسمي الجديد يا هنري ؟ وهل أنت واثق انه سواء تغير اسمي ، او بقي كما هو ، فان حبي لك ثابت لا يتغير

في هذا الدير « زنابق » كثيرة مثلي داميات القلوب . لعلهنّ يجدن في الانقطاع عن العالم بلسماً يشفي جروحهنّ التي لا تقبل الاندمال. اما أنا فلم أجد بعد هذا البلسم . والصلاة الوحيدة التي اركع كل يوم لارفعها الى الله هي ان تعيش سعيداً في هذه الحياة

لو خيّرتُ ان أجلس على العرش طول العمر او اكون زوجتك يوماً واحداً ثم أموت لنبذت العرش ولم أحفل بهِ ، لان سعادة يوم واحد معك أفضل عندي من أبهة الملك . ولو كان في كرهك اياي سعادة لك لكنت أنا ايضاً أتمتع بذلك الكره لان سروري لا يتم الا بسرورك ايها الحبيب

الى الملتقى يا هنري . بودي لو بنفسح لي ان اطيل حديثي معك ولكن . . .

اميليا

(بقلم سليم عبد الاحد)